شبهات المستشرقين العامة ومطاعنهم حول غزوات الرسول ﷺ {تحليل ونقد}

إعداد/
كرم بهنسي رمضان الديب

أ.د/ عبد الكريم محمد جبل
أستاذ العلوم اللغوية ورئيس قسم اللغة العربية كلية الآداب _جامعة طنطا

أ.د/ محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث وعلومه ،جامعة الأزهر (فرع طنطا)

المستخلص:

يدرس هذا البحث شبهات المستشرقين العامة ومطاعنهم حول غزوات الرسول ﷺ، وجاء البحث مشتملا على مقدمة: في خطة البحث، ومنهجه، وأسباب اختياره، وكان من أهم أسباب هذه الدراسة:

أولاً: هذه الدراسة تحاول أن تلفت نظر كل مهتم بشئون المسلمين، وهي تتناول أكبر ظاهرة نفسية واجتماعية تتعلق بالإسلام على مستوى العالم وهي ظاهرة التخويف من الإسلام ونشر الأكاذيب والشبهات لتنفير المجتمع من المسلمين.

ثانياً: قلة الدراسات العربية التي تتناول هذا الموضوع بشكل مفصل ، وهذا ما تطمح إليه هذه الدراسة أن تحققه، وبيان خطورة كتابات بعض المستشرقين الجديدة، واستخدامها لطرق وأساليب حديثة في إثارة الشبهات حول غزوات الرسول.

اعتمدت الدراسة في هذا البحث على بعض المدارس الرائدة في الاستشراق مثل المدرسة الألمانية، والإنجليزية، والايطالية، وغيرها من المدارس التي لها باع وسَبْق في هذا المجال.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبهة بحث محمد ﷺ عن السلطة والزعامة.

المبحث الثاني: شبهة موقف الرسول من اليهود، واتهامهم له بالتحريف.

المبحث الثالث : شبهة أن غزوات النبي ﷺ أخذت طيلة حياته العسكرية الطابع الوضيع، واهتمامه ﷺ بالزعماء والأمراء، والكلام مع العامة لا يستحق الذكر.

الكلمات الإفتتاحية : شبهات ، المستشرقين ، غزوات الرسول في السيرة النبوية.

المقدمة:

فإن الاستشراق علم يتجدد بتجدد موارده وقضاياه، كما أنه يتجدد بتجدد الأفكار والنوازع. وقد شهدت الساحة العلمية عطاءاتٍ مختلفةً من المستشرقين، وكتابات متباينة، ما دفع علماء المسلمين إلى الاختلاف حولهم ما بين مدح وقدح، وثناء وذم، وقبول ورفض.

ولذلك أصبحت دراسة الاستشراق والتعرف على مدارسه من الموضوعات المهمة، والبحث في عطاء المستشرقين العلمي والأكاديمي مهمة في غاية الدقة، وسلاحاً ذا حدين، فبعض المستشرقين أنصف الإسلام والمسلمين، فقاده إنصافه إلى أن ينصف نفسه فأسلم. وبعضهم التزم الحيدة والموضوعية دون اعتناق للإسلام، والبعض الآخر خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، والبعض منهم تعصب وأثار من الشبهات ما يثير حفيظة من له سهم في الدفاع عن دين الله تعالى.

وممن درس السيرة النبوية من المستشرقين، تحججوا بحججٍ[١] واهية، فمنهم من لم ير الحق، وأن حقدهم كان أعمى على الإسلام والمسلمين والعروبة، وهذا الحقد هو الذي دعاهم إلى أن يفسروا غزوات الرسولﷺ وسرياه، على أنها حروب همجية لا تستهدف إلا إلى القتل والدمار حتى ذهبوا يدافعون عن أعداء النبيﷺ، من مشركي مكة ومن على شاكلتهم، واتهموه صلى الله عليه وسلم بالقاتل والمعتدي على البلاد والعباد، وهذا البحث جاء لمحاولة دراسة بعض الشبهات والآراء القائلة بالطبيعة العدوانية لتلك الغزوات والحروب والرد علي هؤلاء المستشرقين، ولتكون الحقيقة واضحة لا لبس فيها وبيان عظمة وسماحة الإسلام والرحمة التي تتجلى في رسوله ﷺ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[٢]

(١) الحُجُج ـ بضمتين ـ الطُرقُ المُحَفرة، ينظر: المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، ط١، دار مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م. " باب الجيم"، ص٢٧٩،

(٢) سورة الأنبياء: { الآية ١٠٧}

وقد جاء هذا البحث مشتملاً على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: شبهة بحث محمد ﷺ عن السلطة والزعامة.

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: طموح النبي ﷺ للسلطة والزعامة.
- **المطلب الثاني**: هدفه ﷺ بناء امبراطورية عربية.
- **المطلب الثالث**: خطته ﷺ لتجميع الناس والتغرير بهم.

المبحث الثاني: شبهة موقف الرسول من اليهود، واتهامهم له بالتحريف.

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول**: اتهام اليهود للرسول ﷺ بالتحريف والضلال.
- **المطلب الثاني**: كثرة أموال اليهود سبب من أسباب هجمات محمد ﷺ لهم.

المبحث الثالث : شبهة أن غزوات النبي ﷺ أخذت طيلة حياته العسكرية الطابع الوضيع، واهتمامه ﷺ بالزعماء والأمراء، والكلام مع العامة لا يستحق الذكر.

- وفيه مطلبان :
- المطلب الأول : غزوات النبي ﷺ أخذت طيلة حياته العسكرية الطابع الوضيع.
- المطلب الثاني:إهتمام محمد بالزعماء والأمراء وترك العامة عند الحديث.

المبحث الأول

شبهة بحث محمد ﷺ عن السلطة والزعامة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

طموح النبي ﷺ للسلطة والزعامة.

اتهم المستشرقين الرسول ﷺ بأنه طامح للسلطة، وأنه تحول بعد هجرته إلى رجل دولة، فزعم بعضهم أن محمداً ﷺ لم يكن نبياً مرسلاً، بل كان طامح للسلطة والزعامة، ويهدفون من ذلك تجريده من نبوته، وقد صور هؤلاء المستشرقون غزوات النبي ﷺ بصورة تعكس نضال زعيم سياسي،" وأنه قد تحوّل بعد الهجرة إلى المدينة، إلى رجل دولة (١).

الاعتراض والرد الأول: إن المتأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، يجد أنه أزهد الناس في الملك والزعامة، لقد جاءت دعوة محمد لتبين للناس أن الحاكم الحقيقي هو الله، وأن السلطة والزعامة زائلة، وهذا ما رسخه رسول ﷺ حينما قال:" آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد(٢)"، وقد هاجر الرسول إلى المدينة ، وكان أول شيء فعله أن اتخذ للدين الإسلامي مسجداً للصلاة(٣)، ومركزاً للدعوة الإسلامية لتسهيل أمور دولة الإسلام البادئة، وبعدها آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار وضرب بينهم بالمؤدة والوئام، ووضع الصحيفة بين جميع أهل المدينة لتكون نظام للحياة الاجتماعية الجديدة، التي تعتبر بحق دستور الدولة الإسلامية في المدينة(٤)، ورغم أن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة قد تمخضت عن تصفية الأحقاد القديمة ، ونبذ العصبية وإنكار

---

(١) محمد في المدينة، وليم مونتجمري وات (نقله إلى العربية شعبان بركات، دار المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان١٩٩٥.، ص٥

(٢) أخرجه عبد الرازق في مصنفه، كتاب أهل الكتابين، باب الأكل بيمينه والأكل وشماله في الأرض،١٩٥/٤٣.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٢٥٥/٢، البداية والنهاية، لابن كثير ٢١٩/٣.

(٤) ينظر: تاريخ الدولة العربية، للسيد عبد العزيز سالم، دار، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ط١، ص ٣٤١.

الدعوة لها(١)، وعن الكثير من التغيرات الإيجابية في حياة العرب جميعاً والمسلمين خاصة ، فإن المستشرقين، والذين لا يؤمنون بنبوة محمد ﷺ من أساسها ، ويسعون بكل وسيلة إلى تقويض أركان الدعوة الإسلامية، يختلقون الاعتراضات ، و يدعون بأن الرسول – صلى الله عليه وسلم - قد تحوّل، بعد الهجرة إلى المدينة، إلى رجل دولة(٢)، والمطلع على كلام المستشرقين يلاحظ المصطلحات التي يحاولون الإيحاء بها بأن محمداً ﷺ كان مدعياً منذ البداية ، فاستخدام لفظ(تحوّل) ، يوحي بالتغير والانقلاب الكامل، فيستشعر القارئ من هذا القول بأن الرسول ﷺ قد نسى الدعوة إلى الله ،التي بدأها في مكة تماماً، وصار في المدينة شيئاً آخر، يمكن تصوره من خلال هذا اللفظ بالملك أو الإمبراطور، أو حتى الأمير، الذي يسعى إلى السلطة والقوة والملك، وإرضاء الذات.

من اتهاماتهم الباطلة وزعمهم الكاذب، ادعاء هؤلاء المستشرقين بأنه – صلى الله عليه وسلم - قد استخدم الوحي لتحقيق أغراضه الدنيوية والشخصية (٣)، فكل ما قاله المستشرقون، من أن النبي ﷺ طامح للسلطة والزعامة، وأنه استخدم الوحي لتحقيق أغراضه الدنيوية أمر باطل ومردود عليهم، إنما الهدف الحقيقي من وراء ذلك تجريده من نبوته، إن القرآن الكريم برأه من هذه الشبهة ، قال تعالى :﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ(٤)﴾، لقد كان – صلى الله عليه وسلم يمتثل لأمر ربه الذي أمره قائلاً :﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٥)، فاحتمل في سبيل تحقيق ذلك الأمر الأهوال العظيمة ، وقدم التضحيات الجليلة ، وحقق الله له أحد الأمرين الذين اختارهما وهو ظهور الإسلام وانتشاره.

---

(١) ينظر: المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، لشكري فيصل، دار العلم للملايين، ط٤،(بيروت ، ١٩٧٨م)، ص ٣٠-٣١.

(٢) محمد في المدينة، لمونتجري وات، ص ٥.

(٣) حياة محمد من المصادر الأصلية، لوليم موير، المجلد الثالث، ص١-٢٤ مارجوليوث ،. محمد وظهور الإسلام ص ١٨٥ - ٢٣٤.

(٤) سورة الأنعام: { الآية: ٥٠}.

(٥) سورة الحجر: {الآية: ٩٤}.

المطلب الثاني

هدفه ﷺ بناء امبراطورية عربية.

اتهم المستشرقين الرسول ﷺ بأن هدفه بناء امبراطورية والسيطرة على جميع الأمور:" وكان الهدف من ذلك، بناء امبراطورية عربية تحت سلطته والتوسع بهم نحو الشمال(١)، وهو يطمح إلى الملك والسيطرة على مقاليد الأمور ، وأن هدفه، كان سياسياً من البداية، وهو توحيد الجزيرة العربية بواسطة دين خاص، وأنه كان يعد نفسه لهذا الدور ، فكان يزور سوق عكاظ للتعرف على فن الشعر من الشعراء المنافسين هناك، واستخدم هذه الخبرة فيما بعد لإملاء القرآن(٢).

الاعتراض والرد الأول: لو كان ــ صلى الله عليه وسلم يسعى ــ إلى بناء امبراطورية، وأن يكون زعيماً متسلطاً مسيطراً عليهم لكان كما يقولون، لكنه في الأصل رفض محاولة قومه بإغرائه بالملك والسيادة والزعامة من قبل قريش أنفسهم وهو في مكة، والدعوة الإسلامية لا تزال وليدة ناشئة، فلماذا لم يقبلها؟ ، وأقسم أن يتم رسالته أو يهلك دونها، فقد أخرج ابْن إِسْحَق وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر عَن ابْن عَبَّاس، أَن عتبَة وَشَيْبَة ابْني ربيعَة وَأَبا سُفْيَان بن حَرْب وَأَبا سُفْيَان بن حَرْب وَالنضْر بن الْحَارِث وَأَبا البخْترِي وَالْأسود بن الْمطلب وَزَمعَة بن الْأسود والوليد بن الْمُغيرَة وَأَبا جهل بن هِشَام وَعبد الله بن أُميَّة وَأُميَّة بن خلف والعاصي بن وَائِل وَنبيه بن الْحجَّاج اجْتَمعُوا فَقَالَ بَعضهم لبَعض: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّد فكلموه وخاصموه حَتَّى تعذروا مِنْهُ فبعثوا إِلَيْهِ أَن أَشْرَاف قَوْمك قد اجْتَمعُوا لَك ليكلموك قَالَ: فَجَاءَهُمْ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّد انا بعثنَا إِلَيْك لنعذر مِنْك فَإِن كنت إِنَّمَا جِئْت بِهَذَا الحَدِيث تطلب بِهِ مَالا جَمعنَا لَك من أَمْوَالنَا وَإِن كنت تطلب الشّرف فَنحْن نسودك وَإِن كنت تُرِيدُ ملكا ملكناك فَقَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: مَالِي مِمَّا تقولن: مَا جِئْتُكُمْ بِهِ أطلب أَمْوَالكُم وَلَا الشّرف فِيكُم وَلَا الْملك عَلَيْكُم وَلَكِن الله بَعَثَنِي إِلَيْكُم رَسُولا وَأنزل عليَّ كتابا وَأَمرَنِي أَن أكون لكم بشيراً وَنَذِيرا فبلغتكم رِسَالَة رَبِّي وَنَصَحْت لكم فَإِن تقبلُوا مني مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حظكم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وَإِن تردوه عَليّ أَصْبِر لأمر الله حَتَّى يحكم الله بيني وَبَيْنكُم"، فعرض عليه صلى الله عليه وسلم، الملك والسيادة والامبراطورية في قومه مع بداية دعوته، لكنه رفض كل هذا لأنه جاء

(١) محمد في المدينة " وات"، تعريب، شعبان بركات، ص ٩٧.
(٢) مارجوليوث ،. محمد وظهور الإسلام ص ٥٩.

برسالة وهي هداية البشر(١).

ثانياً: إن المستشرقين كعادتهم إتهام بلا دليلا ولا حجة، ألم يسألوا أنفسهم لماذا رفض الرسول السُلطة والمُلك الذين قدما له على طبق من فضة، ودون عذاب أو تضحية؟، ولماذا لم يُنصب الرسول نفسه ملكاً على المسلمين بعد أن دانت له الدنيا في يثرب ؟ بل ظل حتى آخر يوم في حياته لباسه التواضع ، وسلطته الرحمة ، وعرشه كلمة التوحيد ، والدعوة إلى الله، ثم بعد ذلك التاريخ وما نقلته لنا الكتب الصحاح عن سيرة خير الأنام يأتي هؤلاء المستشرقين فيصمون أعينهم وآذانهم عن الحق وأهله.

المطلب الثالث

خطته ﷺ لتجميع الناس والتغرير بهم.

هؤلاء المستشرقين كعادتهم يقلبون الحقائق ويزيفون التاريخ بأقوالهم وأفعالهم وليس جديد عليهم فيرون أن محمداً ﷺ "وضع لنفسه خطة تعتمد على تجميع الناس من حوله والتغرير بهم من منطلق هذا الدين الجديد ، وساعدته في ذلك الظروف الاجتماعية التي وُجد فيها ، حيث كان الناس في أمس الحاجة إلى نظام يلمّ شتات العرب ، ويجمعهم على كلمة واحدة ، بعد أن أنهكتهم الحروب ، وذاقوا مرارة الفقر والحرمان(٢)، وهكذا التفّ العرب حوله وانضمّوا تحت لوائه ، وقبلوا دعوته التي أتى بها(٣)

الاعتراض والرد الثالث: عاش النبي ﷺ زاهداً متواضعاً بعيد عن مظاهر الزعامة والرئاسة بين قومه منذ صغره، فلو كان محمداً- صلى الله عليه وسلم – غرر بهؤلاء العرب والتفوا حوله بعدما أن ذاقوا مرارة الفقر والجوع بسبب الحروب، وأنه رجل سياسة نابغ، وطموح، واستغل فقرهم وتشتتهم ليتسلط عليهم ويصبح لهم زعيماً وملكاً، فلماذا لم يظهر كل هذا الطموح إلا بعد انقضاء أربعين عاما من عمره؟ ، أوليس الطموح والنزوع إلى السلطة تظهران في ريعان الشباب؟

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٩٥/١، السيرة الحلبية ج١ ص٣٤٠ المواهب ، ج١ ص٢٥٧.
(٢) ينظر: حياة محمد من المصادر الأصلية ، لوليم موير، ص ٢٠ - ٢٢.
(٣) ينظر: السيرة العطرة، محمد خاتم الرسل ،لمحمد عبد العزيز خير الدين : دار الفكر العربي، ١٩٦٩م ، ٥/١.

وهو الذي لم يذكر لنا أحد أنه تبوأ منصبا قياديا في قريش قط، بل إنه لحكمة أرادها علام الغيوب - سبحانه وتعالى -انتهج خطا هادئا بين رعي الأغنام والتجارة(١).

ثانياً: لقد نسي أو تناسى هؤلاء المستشرقون، ما أثبتته المصادر الإسلامية الصحيحة من أن الدنيا عُرضت على الرسول – صلى الله عليه وسلم فرفضها ،وذلك حين عرضت عليه قريش المال والملك والسيادة ، مُقابل أن يتخلى عن دعوة التوحيد لكنه رفض، إننا كمسلمين لا ننكر بأن الرسول ﷺ قد أنشأ دولة جديدة في المدينة، وأنه كان الحاكم الفعلي لها ، ولكنه لم يهمل دعوته ولا فرط في سبيل إنجازها وتوصيلها إلى كل الناس دون تمييز، باذلاً في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

ثالثاً: ينبغي التأكيد على أن الدولة الإسلامية قد قامت على أساس الرسالة الإسلامية، التي هي من حيث طبيعتها رسالة عالمية(٢)، امتازت بأنها دين ودولة، أي أنها عقيدة دينية تنبثق منها شريعة، وهذه الشريعة يقوم عليها نظام اجتماعي كامل ، يحقق لو طُبق تطبيقاً سليماً – سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة(٣) ما غرر بهم ولا استغل فقرهم، بل أن الله أمره بأن يكون حاكماً لهم حتى يخرجهم مما فيه من طغيان وكفر وإفسادٍ في الأرض، فالآيات القرآنية تؤكد أن الرسول كان مأموراً بأن يكون حاكماً للمسلمين، قال تعالى:﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ(٤)،وقال أيضاً : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (٥)، وأن المسلمين لا يكونون مسلمين حقاً إلا إذا ارتضوه حاكماً لهم، وأن الإسلام هو نظام حكم فلا بد من أن توضع الوسائل اللازمة لتطبيقه في واقع الحياة ، ودراسة عهد الرسول ﷺ في المدينة توضح أنه أرسى قواعد الدولة المنظمة كأحسن ما يكون التنظيم ، وأن الأسلوب

---

(١) ينظر، السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية ، لوليد بن بليهش العمرى، دار مجمع الملك فهد لطباعة، ص ٣٥.

(٢) ينظر: الدين والدولة في توجيه القرآن الكريم ، لمحمد البهي ، دار الفكر ،(بيروت ، ١٩٧١م)، ص ٤٩٠، نظام الحكم في الإسلام ، لصادق عرجون ، مكتبة وهبة (القاهرة ، ب ت) ص ٣٠ .

(٣) ينظر: السيرة النبوية، لعبد الشافي محمد عبد اللطيف ، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ه، ص ١٣٥- ١٣٨.

(٤) سورة المائدة ، الآية ٤٩.

(٥) سورة النساء ، الآية ١٠٥

الذي اتبعه الرسول في إدارة هذه الدولة كان ملائماً لعصره، ووافياً بحاجات المجتمع الذي يحكمه(١)، والرسول رغم كونه الحاكم الفعلي للدولة الإسلامية في طورها المدني، فإنه عاش حياة الاعتدال، كأي مسلم آخر، وهذا ما تتفق فيه الكثير من الكتابات الإسلامية مع كثير من الكتابات الاستشراقية، مؤكدة أن حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، بقيت على حالة الزهد و أنه كان في عداء مع ملذات الحياة المادية ، فقد عُرضت عليه في مكة ، فأباها ، ودانت له في المدينة فلم تغره بمباهجها، فلم يؤثر عنه أنه استعمل حاجباً يمنع الناس الدخول عليه، ولا عاش عيشة الملوك في التنزه والترفع عن أتباعه، بل كان مثل يقتدى به.

(١) ينظر :عبد الشافي محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٣٨

المبحث الثاني

شبهة موقف الرسول من اليهود، واتهامهم له بالتحريف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

اتهام اليهود للرسول ﷺ بالتحريف والضلال.

عندما هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وأول شيء قام به أسس المسجد على التقوى والإيمان، ثم كتب دستوراً بين المهاجرين والأنصار، ووادع اليهود الذين كانوا من بين سكانها، وعاهدهم وأمنهم على أموالهم ومواليهم، ومنحهم حرية الاعتقاد، واشترط عليهم أن يكونوا مع المسلمين على من هاجم المدينة أو حارب أهلها(١)

لكن كعادة المستشرقين، يحرفون الكلم عن مواضعه، فقالوا: أن الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة كان حريصا على أن يظفر بتأييد اليهود، وذلك بزعمهم -حتى لا ينهار البنيان الفكري الذي قامت عليه رسالته، فقد كان – حسب زعمهم - يؤكد في البداية أن رسالته متطابقة مع الرسالات السابقة، ومن هنا كان مستعدا لأن يسمح لليهود بالبقاء على دينهم إذا اعترفوا به نبيا كأنبيائهم، فلما أصر اليهود على موقفهم من عدم الاعتراف بنبوته وأخذوا يبرزون الفروق بين اليهودية والإسلام هاجمهم الرسول واتهمهم بالتحريف وادعى أنه على دين إبراهيم(٢).

الاعتراض والرد: عند قدوم الرسول ﷺ المدينة فإن اليهود قد أظهروا العداوة والبغضاء منذ مقدمه، ذلك بعد أن عرفوا أن الله قد خص العرب بالنبي المنتظر، فسعوا في الوقيعة بين

---

(١) لمزيد من الإطلاع على نصوص الصحيفة ابن هشام : السيرة النبوية ،١١٢/٢.ابن كثير : السيرة النبوية ، ٣٢١/٢.

(٢) محمد في مدينة، لمونتغمري وات، ص ٢٠٤، محمد وظهور الإسلام، لدي إس مارجوليوث. ص٣١٠-٣٣٨ حياة محمد من المصادر الأصلية، وليم موير، ٣٠/٣-٣١.

الأنصار(١)، وعندما أسلم بعض اليهود قالوا (٢)، ما أسلم إلا أشرارنا ،وكان منهم من تحزب للأحزاب، ثم حاولوا اغتياله بدس السم له(٣)، لقد شعر اليهود بتزايد قوة المسلمين ، ورأوا أن محمداً يزيد قوة وسلطاناً ، فما كادوا يعودون من بدر ، حتى بدأو بالتآمر عليهم ، يغررون بهم ، ويرسلون الأشعار للتحريض عليهم، ووجد المسلمون في أنفسهم الجرأة لوضع حد لمن بدأهم بالعدوان(٤)،إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان حريصا على أن يدخل الناس كافة في هذا الدين، يهوداً كانوا أم غير ذلك، فإنه لم يجبر اليهود على الدخول في الإسلام، وهذا هو موقف الإسلام من أهل الكتاب خاصة، إضافة إلى أنه لم يكن هناك أي احتكاك بين محمد ﷺ واليهود قبل هجرته إلى المدينة باعتراف المستشرقين أنفسهم(٥)، وهم الذين فسروا أحداث السيرة النبوية ، تفسيراً مادياً بحتاً ، ولا يؤمنون بنبوة محمد ﷺ و لم يقروا بأن الإسلام رسالة مُنزلة من السماء ، وبالتالي فهم لن يعترفوا بأن الكثير من تصرفات الرسول، والإجراءات التي أتخذها في حياته، كانت تنفيذاً لأوامر الله – سبحانه وتعالى – سواء رغب الرسول في ذلك أو لم يرغب، وإنما هي- حسب زعمهم -ناتجة عن تدبير مسبق، وتفكير سياسي محنك .

(١) يذكر ابن اسحاق أن شأس بن منيس ، وكان شيخاً كبير السن عظيم الكفر شديد الظغن للمسلمين شديد الحسد لهم ، مرّ على نفر من مسلمين من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال: قد أجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا ، إذا أجتمع ملؤهم بها من قرار ، لإامر فتاً شاباً من يهود كان معهم ، فقال له : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم أذكر يوم بعاث (اقتتلت فيه الأوس والخزرج في الجاهلية) ، وأنشدهم ما كانوا قد قالوا فيه من أشعار ، ففعل ، فتكلم القوم وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب بعضهم على الآخر ، ولوحوا بالخرب ، فبلغ ذلك الرسول ، فلامهم ، وعرف القوم أنها من كيد عدوهم فبكوا وتعانقوا، ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام ، ١٢\ ١٥٨- ١٦٤.

(٢) نذكر منهم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سقية ، وأسيد بن سقية ، وأسد بن عبيد وغيرهم ، ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام ، ١٢\ ١٥٤-١٦٤..

(٣) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ١٢٢/٢- ١٦٩، المغازي، للواقدي ،٨١/١- ١٧٧، تاريخ الرسل والملوك، للطبري، ٣٦٠/٢.

(٤) حياة محمد، لمحمد حسنين هيكل، دار المعارف، ط١٤، القاهرة، ص ٢٨٠..

(٥) السيرة النبوية في دائرة المعارف البريطانية، وليد بن بلهيش العمري، ص ٤٢.

المطلب الثاني

كثرة أموال اليهود سبب من أسباب هجمات محمد ﷺ لهم.

زعم المستشرقين، أن النبي ﷺ كان طامعاً في أموال اليهود وسلكوا مسلكاً غير مقبول حيث يطعنون في نوايا الرسول بغير دليل ، وإنما الهدف من ذلك تصوير الرسول ﷺ بصورة غير لائقة بجنابه الشريف فممن قالوه:" القول بأن محمداً كان يجهل غنى اليهود تقليل من شأن ذكائه، ولكن الاعتقاد بأن هذا الغنى كان السبب الوحيد لهجمات محمد ضد اليهود وهو اتخاذ موقف مادي لا مبرر له، ولا شك أن غنى اليهود كان بدون شك عوناً كبيرا لمحمد، وحسّن كثيراً من وضعه المالي(١)".

الاعتراض والرد: الناظر إلى دعوة الرسول ﷺ يجد إنها دعوة عالمية للجميع البشر بما فيه اليهود، وإن النبي ﷺ كان حريصاً أشد الحرص على إسلام وإيمان اليهود، فلو أراد جبال مكة والمدينة ذهباً لكان، ولما تأمرت جميع طوائف اليهود على رسول ﷺ وغدروا به فإذا به ﷺ قبل أن ينفذ فيهم حكم الله قال لعلي بن أبي طالب يوم خيبر:" ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم(٢)"، إن غدر اليهود ونقضهم للعهود هو الأمر الحقيقي في إجلائهم عن المدينة، وليس السبب الطمع في أموالهم، وما هاجمهم الرسول وما بغى عليهم، وإنما ما فعلوه جعل التعايش فيما بينهم أمر مستحيل، فكلام هؤلاء المستشرقين حول هذه الشبهة لا أصل له ولا دليل عليه، فإجلاء الرسول ﷺ لليهود ليس طمعاً في المال إنما كانوا هم الطرف الناقض للعهد، المستوجب للقتال، المستحل أموالهم، وأحداث الغزوات شاهدة على ذلك. ثقة ومناسبة لجنابه الشريف .

(١) محمد في المدينة، لمونتجري وات، ٣٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي، ١٨٧٢/٤.

المبحث الثالث

شبهة أن غزوات النبى ﷺ أخذت طيلة حياته العسكرية الطابع الوضيع، واهتمامه ﷺ بالزعماء والأمراء، والكلام مع العامة لا يستحق الذكر.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

غزوات النبى ﷺ أخذت طيلة حياته العسكرية الطابع الوضيع.

ومن المستشرقين من وصف واتهم "غزوات النبي ﷺ" طيلة حياته السياسية والعسكرية في المدينة المنورة بالطابع الوضيع واعتبرها قوم جياع احتاجوا إلى تحصيل القوت،....إنه في المدينة فقد ظهر الإسلام نظاماً له طابع خاص وله في الوقت نفسه صورة الهيئة المكافحة، إنه في المدينة قامت طبول الحرب ... وفي المدينة صار الرجل الذي كان بالأمس ضحية صابرة والذي كان خاضعاً مسلماً ينظم أعمالاً حديثة ... كما ينظم طريقة توزيع الغنائم ويضع القوانين لتنظيم الأموال والمواريث بعد أن كان زاهداً في المال وجمعه، نعم، إنه استمر في التحدث عن باطل هذه الحياه.. لكنه مع هذا أصبح يملي القوانين ويضع الترتيب لأمور الدين العملية وأهم احتياجات الحياة الاجتماعية(١)".

الاعتراض والرد: غزوات النبي ﷺ لم تأخذ طيلة حياته العسكرية والحياتية هذا الادعاء" الطابع الوضيع" أبداً، والناظر إلى حروب الرسول كانت جميعها من اجل الدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم، وتجد أن النبي ﷺ أرسى قواعد عظيمة طيلة حياته العسكرية منها الرحمة، لقد كان ﷺ يوصى جيش المسلمين دائماً بالرحمة واللين والرفق والعفو والمواظبة على التحلى بهذه الأخلاق الفاضلة، وهم يخوضون أشرس القتال ضد أعدائهم، فكان يدعوا الجيش إلى اجتناب قتال الأطفال والشيوخ والنساء وعدم اعتبارهم من المحاربين، فيكيف يصف هؤلاء المستشرقين بأنه طابع وضيع، إن من وصاياه ﷺ للجيش " سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا ولا تغدوروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ولا تقطعوا شجراً إلا أن

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ، جولدتسهير ، نقله إلى العربية وعلق عليه ، محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة ، القاهرة، ص ١٧. ١٨.

تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه(١).

فكيف يتهم المستشرقين بأن حياته ﷺ العسكرية أخذت ما يسمونه بالطابع الوضيع، إن القارئ لكلامه ﷺ والناظر لرحمته الشريفه يجد أن الذي يستجير بالمسلمين من المشركين له الأمان والجوار، فكيف بمن عنده صلح معهم، أليست هذه رحمة وأخلاق حميده نفذها الجيش وسار عليها الصحابة الكرام ومن شذ منهم نهاه النبي ﷺ وشدد عليه ، أن صبغة المستشرقين العدائية دائما ما تتصيد بعض الأشياء الساقطة لتبرر لنفسها ما تقول وما تروجه حتى تبرز للناس أنه دين عدائى.

المطلب الثانى

إهتمام محمد بالزعماء والأمراء وترك العامة عند الحديث.

شنع بعض المستشرقين على رسول الله أن حروبه غير أخلاقيه حيث أنه يهتم دائما بالزعماء ولا يبالي للفقراء والعامة فقالوا: " المواجهات مع السلطان عند كتاب السير وقائع جديرة بالاهتمام بذاتها تضفي على شخصيات أصحابها هالة ساطعة ، أما كلامهم مع العامة لا يستحق الذكر، .. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق(١).

الاعتراض والرد: هذا الزعم مردود وباطل، من اطلع على سيرة النبي ﷺ يجده لايفرق بين أبيض ولا أحمر، ولا غني ولا فقير، ولا بين رئيس ولا مرؤس، إنما الجميع سواسية ، والنبي ﷺ أتخذ مبدأ النصح للولاة يكون سرًا لا علانية، مع التلطف واللين والوعظ، فإن استجاب فذاك وإلا فقد أدى الذى عليه ، وهذا مبدأ نبوي جليل يعطي كل واحد قدرة وقيمته وليس ذلك نفص ، واستحدم النبي ﷺ وسائل للنصح للرؤساء والمرؤسين دون تفرقه في المعاملة ، وأنه يجب على الفرد إذا أراد النصح للغير أن لا يكون علانية بل سراً، وهذه الأخلاق الحسنة ، لا كما يدعي البعض

---

(١) شرح النووي على مسلم ،كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها،٣٩٨/١٢، ينظر: الفروع من الكافي، للكليني، ٢٧/٥.

أن النبي ﷺ وضع السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، وأن ممن استخدمه الرسول في مخاطبة الملوك والأمراء عدة أشياء منها:

المشافهة، والمكاتبة، والمراسلة، والاتصال، وهذا هو المنهج النبوي في نصح والإرشاد لولاة الأمور من غير إفراط ولا تفريط، والمتتبع للمراسلات والمكاتبات للملوك والأمراء يجد ذلك واضحاً، أن النبي وضع كل واحد فيما يليق به، دون الإنتقاص من أحد والسيرة النبوية خير دليل على ذلك، وهذا هو الهدي النبوي، والمواقف العامة والخاصة في السيرة النبوية كثيرة ومنها: ماجاء عن شُرَيْحُ بْنُ عُبَيْدٍ الْحَضْرَمِيُّ، وَغَيْرُهُ، قَالَ: جَلَدَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ صَاحِبَ دَارَا حِينَ فُتِحَتْ، فَأَغْلَظَ لَهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ الْقَوْلَ حَتَّى غَضِبَ عِيَاضٌ، ثُمَّ مَكَثَ لَيَالِيَ ، فَأَتَاهُ هِشَامُ بْنُ حَكِيمٍ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ لِعِيَاضٍ: أَلَمْ تَسْمَعِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا، أَشَدَّهُمْ عَذَابًا فِي الدُّنْيَا لِلنَّاسِ» ؟ فَقَالَ عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ: يَا هِشَامُ بْنَ حَكِيمٍ، قَدْ سَمِعْنَا مَا سَمِعْتَ، وَرَأَيْنَا مَا رَأَيْتَ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ» ، وَإِنَّكَ يَا هِشَامُ لَأَنْتَ الْجَرِيءُ، إِذْ تَجْتَرِئُ عَلَى سُلْطَانِ اللَّهِ، فَهَلَّا خَشِيتَ أَنْ يَقْتُلَكَ السُّلْطَانُ، فَتَكُونَ قَتِيلَ سُلْطَانِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى(٢).

---

(١) الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، لأبو خليل، نقلاً عن كولي،: البحث عن الدين الحقيقفي، الصادر عن إتحاد مؤسسات التعليم المسيحي، باريس ١٩٢٨م، ص ١٤٧.

(٢) أخرجه أحمد في المسند مخرجا (٢٤/ ٤٨)، برقم (١٥٣٣٣).

ثبت المصادر والمراجع

١ـ أخلاقيات وسلوكيات الحرب عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (دراسة مقارنة مع القانون الدولي لدحض افتراءات المستشرقين)، للدكتور وليد نور: دار الكتب العلمية، بيروت ،ط١، ٢٠١٤هـ .

٢ـ الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات- بروكلمان- فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، عبد الله محمد الأمين النعيمي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧ه، ١٩٩٧م، ص٢٤٧.

٣ـ الاستشراق في السيرة النبوية: دراسة تاريخية لآراء (وات - بروكلمان - فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، لعبدالله محمد الأمين النعيم، هيرندن (فرجينيا): المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٤ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، للدكتور محمود حمدي زقزوق، دار المنار، القاهرة، ط٢،١٤٠٩هـ .

٥ـ أصول الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة في تطبيقات على كتابات برنارد لويس، لمازن المطبقاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ط١، ١٤١٦ه.

٦ـ انتاج المستشرقين واثره في الفكر الإسلامي، مالك بن نبي، ، دار الرشاد، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.

٧ـ انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، الزياري، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط١، سنة النشر: ١٩٨٣م.

٨ـ أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، للقونوي، (المتوفى: ٩٧٨هـ)، تحقق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، الطبعة: ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ، صـ ١٠٥.

٩ـ الاهتمام بالسيرة النبوية باللغة الإنجليزية، لمحمد مهر علي، عرض تحليل، في: ندوة عناية

المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٠ـ تاريخ الدولة العربية، للسيد عبد العزيز سالم، دار، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ط١، ص ٣٤١.

١١ـ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٢ــ الدين والدولة في توجيه القرآن الكريم ، لمحمد البهي ، دار الفكر ،(بيروت ، ١٩٧١م

١٣ــ دفاع عن الإسلام ، لورافيشيا فاغليري، تحقيق وتعريب، منير البعلبكي ، لبنان، بيروت، ط،١٩٧٩م

١٤ــ رؤية إسلامية للاستشراق، للدكتور أحمد عبدالحميد غراب، دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥ــ السيرة النبوية، لعبد الشافي محمد عبد اللطيف ، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ه

١٦ــ السيرة العطرة، محمد خاتم الرسل ،لمحمد عبد العزيز خير الدين : دار الفكر العربي، ١٩٦٩م

١٧ــ العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، لإجناس جولتسيهر، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد يوسف وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسين عبدالقادر، القاهرة: دار الكاتب المصرية، ١٩٤٦م،

١٨ــ الغرب نحو الدرب، لمحفوظ العباسي، الموصل، العراق، دار، مطبعة الزهراء، ١٩٨٧م، ص ٧٩.

١٩ــ المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، لشكري فيصل، دار العلم للملايين، ط٤،(بيروت ، ١٩٧٨م.

٢٠ــ محمد صلى الله عليه وسلم في مكة، مونتجمري وات، ترجمة عبدالرحمن الشيخ وحسين عيسى، مراجعة أحمد شلبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ٢٠٠٢م

٢١ــ المستشرقون والحديث النبوي، لمحمد بهاء الدين، كوالا لامبور: دار الفجر، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م

٢٢ــ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة دكتور بسام بركة، دكنور أحمد شعبو، اشراف وتقديم المحامي عمر مقاوي دار الفكر، دمشق سوريا، طبعة ١، ١٩٨٨م.

٢٣ــ المعجم الاشتقاقي الموصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، ط١، دار مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م

٢٤ــ مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٥ــ منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، آل عرعور،عدنان بن محمد، طبعة ١، علاء عمري، ١٤٣٢/٤/٢٣هـ).

٢٦ــ نقد الخطاب الإستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية د. ساسي سالم الحاج، الجزء الأول، دار المدارس الإسلامي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى يناير٢٠٠٢، ٢٠/١.

The orientalists' general suspicions and slanders about the conquests of the Prophet, peace and blessings be upon him

{analysis and criticism}

By

Karam Bahnasy Ramadan El-Deeb

Prof. Dr./ Abdul Karim Muhammad Jabal

Professor of Linguistics - Head of the Department of Arabic Language,Faculty of Arts_ Tanta University

Prof. Dr. Muhammad Ibrahim Al-Ashmawi

Professor of Hadith and its Sciences_ University of Al-Azhar (Tanta Branch)

Abstract:

This research studies the general suspicions of orientalists and their accusations about the conquests of the Messenger, peace be upon him.

First: This study attempts to draw the attention of anyone interested in Muslim affairs, and it deals with the largest psychological and social phenomenon related to Islam in the world, which is the phenomenon of

intimidation from Islam and spreading lies and suspicions to alienate society from Muslims.

Second: The lack of Arabic studies that deal with this subject in detail, and this is what this study aspires to achieve, and to show the seriousness of the writings of some new orientalists, and their use of modern methods and methods to raise suspicions about the Prophet's invasions.

The study in this research relied on some of the leading schools of Orientalism, such as the German, English, and Italian schools, and other schools that have a precedent in this field.

It contains three topics:

ϖ The first topic: The suspicion of Muhammad's search for power and leadership.

ϖ The second topic: the suspicion of the Prophet's attitude towards the Jews, and their accusation of distortion.

ϖ The third topic: the suspicion that the conquests of the Prophet, peace be upon him, took a lowly character throughout his military life, and his concern, peace be upon him, about leaders and princes, and speaking with the common people is not worth mentioning.

Ketwords: The orientalists' suspicions of the Prophet's invasions in the Prophet's biography.